المُحاضرة الثَّالثة: أنواعُ التَّوجيه وأَدواته

كلُّ آيةٍ في كتاب الله ﷻ اختلفت فيها القراءات، وأراد طالبُ علم القرآن توجيهها، فعليه أن يتطلَّبَ شيئينِ اثنين: موَجَّهًا (اسم مفعول)، ومُوَجِّهًا (اسم فاعل)؛ أمَّا الموَجَّهُ، فهو الشَّيءُ الَّذي أشكلَ في الآيةِ واختلف فيه القراء حتَّى أحوج إلى توجيهه، وهو إمَّا أن يكون معنى كلمة، أو تفسيرها، أو كيفيَّة أدائها، أو اشتقاقها، أو صيغتها الصَّرفية، أو وجهها النحويَّ، أو البلاغيَّ، أو غير ذلك، وهذا ما يُحدِّدُ لنا (نوع التَّوجيه). وأمَّا الموَجِّهُ، فهو الشَّيءُ الَّذي يُستَعانُ به على بيان الوجه الَّذي قرأ به قارئٌ مُعيَّنٌ، ويُحتَجُّ له به، وهذا إمَّا أن يكون من القرآن (النظائر)، أو من السنة، أو من شعر العرب، أو احتجاجًا برسم المصحف، أو لهجات القبائل، وغيرها، وهي ما اصطلحنا على تسميتها بـ(أدوات التَّوجيه)، وعلى ذلك ستكون هذه المحاضرة في مسألتين، هما: أنواع التوجيه، وأدواته. وسنمهد لهما بالتَّنبيه على أنَّ مَنْ صنَّف في هذا الفنِّ كانوا من الأئمة الملمِّين بأنواع التَّوجيه وأدواته، وتفصيل ذلك على النَّحو الآتي:

تمهيد: في أنَّ أوائل العلماء الموجهين للقراءات كانوا أئمَّة في اللُّغة والقراءات جميعًا

الَّذي يُلقي نظرةً على تراجم الأئمة الذين تصدَّوا لتوجيه القراءات، يُلفي أنَّ جُلَّهم من الجامعين للعلم بالعربيَّة وبالقرآن جميعًا، واعتبر في ذلك مثلاً الإمامَ أبا عمرو البصريَّ (ت:154هـ)، والإمامَ الكسائيَّ (ت:189هـ)، بل إنَّهُ يُنسبُ للكسائي رحمه الله، أنه أول من صنف في التوجيه. روى الخطيب البغداديُّ رحمه الله (ت:463هـ) في (الجامع)، عن «أَبِي عَلِيٍّ الشَّقِيقِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: إِنَّ الْكِسَائِيَّ قَدْ وَضَعَ كِتَابًا فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ؛ مِثْلَ: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾[الفاتحة: 2]، وَ(الْحَمْدَ لِلَّهِ)، وَ(الْحَمْدِ لِلَّهِ)؛ فَمَنْ رَفَعَ حُجَّتُهُ كَذَا، وَمَنْ نَصَبَ حُجَّتُهُ كَذَا، وَمَنْ خَفَضَ حُجَّتُهُ كَذَا، فَكَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ قَرَأَ بِهَا قَوْمٌ مِنَ السَّلَفِ مِنَ الْقُرَّاءِ، فَالْتَمَسَ الْكِسَائِيُّ الْمَخْرَجَ لِقِرَاءَتِهِمْ؛ فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَةً لَمْ يَقْرَأْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ مِنَ الْقُرَّاءِ؛ فَاحْتَمَلَهَا عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى النَّحْوِ، فَأَكْرَهُه. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: ثُمَّ قَدِمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بَغْدَادَ وَالْكِسَائِيُّ حَيٌّ؛ فَلَقِيتُ بِهَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ يُقَالُ لَهُ: مَتٌّ أَخُو حَفْصِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالنَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، فَقَالَ: أَحْسَنَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ،

– وَأَعْجَبَهُ قَوْلُهُ –، وَلَكِنْ أُخْبِرُكَ أَنَّ الْكِسَائِيَّ يَقُولُ: "إِنَّ هَذِهِ الْوُجُوهَ كُلَّهَا قِرَاءَةُ الْقُرَّاءِ مِنَ السَّلَفِ"»[1].

والمقصود بالتقرير في هذا المقام، أنَّ جُلَّ ما يدور ههنا حول توجيه القراءات لا ينأى عن فلَكِ اللغة العربيَّة، وما ذلك إلاَّ لأنَّ القرآنَ العظيم ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[الشعراء:195]، وأنَّ من تصَدَّى لهذا الأمر كانوا من الجامعين بين علم القرآن وعلم العربيَّة؛ فكانوا أحقَّ به وأهلَه.

1- أنواع توجيه القراءات:

والَّذي يحكمُ هذا كما أسلف وأشرنا، هو الشَّيءُ (الموضعُ) الَّذي اختلفتْ فيه الْقَرَأَةُ في الآية واحتاج إلى توجيهٍ، والأغلبُ أن لا يخرج عن ستَّة أمور: الجانب اللغوي أو الصرفي أو النحوي أو البلاغي أو الفقهي أو العقدي.

أ- التَّوجيه اللغويُّ:

وأقصد بالتوجيه اللغوي ههنا؛ ما كان راجعًا إلى الاختلاف اللهجي في القراءات القرآنية، ويندرج في ذلك التوجيه الصوتي للأداءات المختلفة للفظ القرآني الواحد، ومن أمثلة هذا النوع:

– الاختلاف في كلمة (جِبْرِيلَ)؛ فإنها قُرأت هكذا (بكسر الجيم)، كما قُرِأتْ (جَبرِيل؛ بفتحها) وهي لغةٌ فيها. قال أبو حيان رحمه الله (ت:745هـ): «قَالُوا: جِبْرِيلُ: كَقِنْدِيلٍ، وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَنَافِعٍ وَحَفْصٍ. وَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ:

وَجِبْرِيلُ يَأْتِيهِ وَمِيكَالُ مَعْهُمَا * مِنَ اللَّهِ وَحْيٌ يَشْرَحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ:

وَالرُّوحُ جِبْرِيلُ مِنْهُمْ لَا كِفَاءَ لَهُ * وَكَانَ جِبْرِيلُ عِنْدَ اللَّهِ مَأْمُونَا

وَقَالَ حَسَّانُ:

وجبريل رسول الله فينا * وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

وَكَذَلِكَ إِلَّا أَنَّ الْجِيمَ مَفْتُوحَةٌ، وَبِهَا قِرَاءَةُ الْحَسَنِ وَابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ مُحَيْصِنٍ. قَالَ الْفَرَّاءُ:" لَا أُحِبُّهَا، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ فَعْلِيلٌ"؛ وَمَا قَالَهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، لِأَنَّ مَا أَدْخَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي كَلَامِهَا عَلَى قِسْمَيْنِ:

[1] الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج2، ص197.

مِنْهُ مَا تُلْحِقُهُ بِأَبْنِيَةِ كَلَامِهَا، كَلِجَامٍ، وَمِنْهُ مَا لَا تُلْحِقُهُ بِهَا، كَإِبْرَيْسِمٍ. فَجَبْرِيلُ، بِفَتْحِ الْجِيمِ، مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. وَقِيلَ: جَبْرِيلُ مِثْلُ شَمْوِيلَ، وَهُوَ طَائِرٌ»[1].

– ومثل كلمة (يَحْسِبهم) بكسر السين وفتحها، من قول الله ﷻ: «﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ**﴾[البقرة:273]، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي والحضرمي: (يَحْسِبُهُمُ)، و(يَحسِبُونَ)، و(يَحسِب)؛ بكسر السين في كل القرآن.

وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم بفتح السين في ذلك كله.

قال أبو منصور: هما لغتان معروفتان عن العرب، على (فَعِلَ يفعِلُ) حَسِبَ يحْسِبُ، وحَسِب يَحْسَبُ؛ والكسر لغة أهل الحجاز، والفتح لغة تميم»[2].

– ومن ذلك توجيه باب (الفتح والإمالة) من الأصول؛ وهي ظاهرةٌ صوتية معروفة في اللغة والقراءات جميعا؛ بأنَّ الإمالة لغة أهل نجدٍ، والفتح لغة أهل الحجاز وعامة الجزيرة[3].

ب– التوجيه الصَّرفيُّ:

البنية الصرفية للكلمة أصغر وحدة في التركيب، وقد وقع التغاير في القراءات القرآنية بين بعض الكلمات من جهة بنائها الصرفي، ومن ذلك:

– كلمة (واعدنا) فإنها وردت في القرآن الكريم خمس مرات، أُختُلِفَ في ثلاثة مواضع منها بين قراءتها (وَاعَدَنَا) وبين (وَعَدْنَا)[4]. قال مكِّيٌّ رحمه الله (ت:437هـ): «وعلة من قرأ بغير ألف، إجماعهم على قوله: ﴿**أَلَم يَعِدكم**﴾[طه:86]، ولم يقل (يُواعدكم)، فالوعد من الله عز وجل وعده لموسى. وأيضًا فإن المفاعلة أكثر ما تكون من اثنين بين البشر، والوعد كان من الله وحده لموسى، فهو منفرد بالوعد والوعيد، وعلى ذلك جاء القرآن، قال تعالى ذكره: ﴿**وَعَدكم وعد الحقِّ**﴾[إبراهيم:22]، و﴿**وَإِذْ يَعِدُكم الله**﴾[الانفال:7]، و﴿**النَّارُ وعدها**﴾[الحج:72]، و﴿**أَلَم يَعِدكم**﴾[طه:86]. وأيضا فإن ظاهر اللفظ فيه وعد من الله لموسى، وليس فيه وعد من موسى، فوجب حمله على الواحد بظاهر النص، لأن الفعل مضاف إلى الله وحده، وهو اختيار أبي عبيد،

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص509.

[2] الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص230–231.

[3] يُنظر: المارغني، الدرر اللوامع، ص90. و: محمد الصادق قمحاوي، طلائع البشر، ص14.

ويُنظر كذلك الخلاف في كلمة (تخطفه) من الجهة الصوتية عند: الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص141–142.

[4] يُنظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ص36.

وهي قراءة الحسن وأبي رجاء وأبي جعفر وشيبة وعيسى بن عمر، وبه قرأ قتادة وابن أبي إسحاق. قال أبو حاتم: "قراءة العامة عندنا (وعدنا) بغير ألف، وقال: إن المواعدة أكثر ما تكون بين المخلوقين والمتكافئين، كل واحد يعد صاحبه".

وعلَّةُ من قرأ بألف أنه جعل المواعدة من الله ومن موسى؛ وعد الله موسى لقاءه على الطور ليكلمه ويناجيه، ووعد موسى اللهَ المسير لما أمره به. والمواعدة أصلها من اثنين، وكذلك هي في المعنى.

ويجوز أن تكون المواعدة من الله ﷻ وحده، فقد تأتي المفاعلة من واحد في لغة العرب؛ قالوا: طارقت النعل، وداويت العليل، وعاقبتُ اللص. والفعل من واحد؛ فيكون لفظ المواعدة من الله خاصَّة لموسى كلفظ (وعدنا)، فتكون القراءة بمعنًى واحد»[1].

– من الأمثلة على هذا كذلك كلمة (تُفادُوهم) من قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ**﴾[البقرة:85]، فإنها قُرئت (تُفَادوهم) و (تَفْدُوهم). وحاصلُ كلام العلماء فيها أنَّ (تُفادوهم) مُفاعلةٌ من الفداء، أي أنَّ فيها فداءً من الجانبين، والمقصود فداء اليهود أسراهم من الأوس والخزرج، وفداء هؤلاء أسراهم من اليهود، فكأنَّ هناك مبادلة للأسرى من الطَّرفين. أمَّا قراءة (تفدوهم) فإنها تعني دفع المال لاستنقاذ الأسير على كل حال، سواء كان في مقابلةِ أسيرٍ آخرَ أم لم يكن[2].

جـ– التَّوجيه النَّحويُّ:

وهذا كثيرٌ، ومن أمثلته:

– كلمة (عُزير) من قول الله ﷻ: ﴿**وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ**﴾[التوبة:30]. فقد قُرِأت بالمنع من الصرف (عُزَيْرُ)، وبالصَّرفِ (عُزَيْرٌ). قال ابن عاشور رحمه الله (ت:1393هـ=1973م) في توجيه ذلك: « قَرَأَ الْجُمْهُورُ عُزَيْرٌ– مَمْنُوعًا مِنَ التَّنْوِينِ لِلْعُجْمَةِ – وَهُوَ مَا جَزَمَ بِهِ الزَّمَخْشَرِيُّ وَقَرَأَهُ عَاصِمٌ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ: بِالتَّنْوِينِ

[1] مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص239–240.

[2] يُنظر: ابن جرير، جامع البيان، ج2، ص311–312.

عَلَى اعْتِبَارِهِ عَرَبِيًّا بِسَبَبِ التَّصْغِيرِ الَّذِي أُدْخِلَ عَلَيْهِ لِأَنَّ التَّصْغِيرَ لَا يَدْخُلُ فِي الْأَعْلَامِ الْعَجَمِيَّةِ، وَهُوَ مَا جَزَمَ بِهِ عَبْدُ الْقَاهِرِ فِي فَصْلِ النَّظْمِ مِنْ (دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ)»[1].

– ومن ذلك أيضًا: خلاف القراء في قوله تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾[المائدة:45].

قال الأزهري رحمه الله (ت:370هـ): « وقرأ الكسائي (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ) بالرفع في هذه الأسماء كلها، ونصبها كلها الباقون.

قال أبو منصور: أما ما قرأه الكسائي من رفع الأسماء كلها بعد (النَفس) ونصبه فإنه جعل قوله (وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ) ابتداء، وعطف عليه ما بعدها من الأسماء، وجعل قوله (قصاصٌ) خبر الابتداء، وقد رُويت هذه القراءة عن النبي صلى الله عليه فيما أخبرني المنذري عن أبي طالب عن أبيه عن الفراء عن إبراهيم بن أبي يحيى عن أبان عن أنس أن رسول الله قرأ: (وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ)، قال الفراء: فإذا رفع (الْعَيْنُ) تبعها ما بعدها.

وَمَنْ قَرَأَ (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) بالنصب وأتبعها الأسماء بعدها بالنصب حتى انتهى إلى قوله: (وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ) فرفعها، فالجروح ابتداء، و(قصاص) خبره»[2].

د– التَّوجيهُ البلاغيُّ:

– وذلك كالذي جاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ**﴾[الشعراء:10-11]، والمقصود بالذكر لفظ (ألا يتقون)؛ فإنها في قراءة الجماعة بالغيبة (يتقون)، وفي قراءة بعضهم بالتاء (ألا تتقون). قال الزمخشريُّ رحمه الله (ت:538هـ): «وأمّا من قرأ: ألا تتقون. على الخطاب. فعلى طريقة الالتفات إليهم، وجبههم، وضرب وجوههم بالإنكار، والغضب عليهم، كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر، فإذا اندفع في الشكاية وحرّ مزاجه وحمى غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يونجه ويعنف به ويقول له: ألم تتق الله، ألم تستح من الناس»[3].

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص168.

[2] الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص330.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج3، ص301.

– من الأمثلة على التوجيه البلاغي كذلك، ما جاء في (التحرير والتنوير) من توجيه للخبر والإستفهام في قول الله ﷻ: ﴿**وَجاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ**﴾[الأعراف:113]، قال ابن عاشور رحمه الله (ت:1393هـ=1973م): «وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَحَفْصٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ (إِنَّ لَنا لَأَجْراً) ابْتِدَاءً بِحَرْفِ (إِنَّ) دُونَ هَمْزَةِ اسْتِفْهَامٍ، وَقَرَأَهُ الْبَاقُونَ بِهَمْزَةِ اسْتِفْهَامٍ قَبْلَ (إِنَّ).

وَعَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ فَالْمَعْنَى عَلَى الِاسْتِفْهَامِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْجَوَابِ بِ(نَعَمْ)، وَهَمْزَةُ الِاسْتِفْهَامِ مَحْذُوفَةٌ تَخْفِيفًا عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى عَلَيْهَا أَيْضًا عَلَى الْخَبَرِيَّةِ لِأَنَّهُمْ وَثِقُوا بِحُصُولِ الْأَجْرِ لَهُمْ، حَتَّى صَيَّرُوهُ فِي حَيِّزِ الْمُخْبَرِ بِهِ عَنْ فِرْعَوْنَ، وَيَكُونُ جَوَابُ فِرْعَوْنَ بِ(نَعَمْ) تَقْرِيرًا لِمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنهُ»[1].

هـ– التوجيه الفقهيُّ:

وهذا النوع إنما تجده فيما اصطلح عليه أهل العلم بـ(آيات الأحكام) أي الآيات التي فيها ثمرةٌ عمليَّة تتعلَّقُ بعمل المكلَّفِ، ومن أشهر ما يُذكر في هذا:

– قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[المائدة:6]، والمقصود الخلاف في كلمة (وأرجلكم) بالنصب والجرِّ. قال السمين الحلبيُّ رحمه الله (ت:756هـ): «قوله: (وَأَرْجُلَكُمْ). قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم: (أرجلَكم)، نصباً، وباقي السبعة: (وأرجلِكم) جراً»[2].

وقد ذكر هنالك أقالاً عديدة في توجيه القراءتين منها: أن قراءة النَّصب (وأرجلَكم) عطفًا على (وجوهَكم) فتكون دالة على وجوب غسل الأرجل. وقراءة الجر (وأرجلِكم) عطف على (برؤوسكم) فتكون الأرجل ممسوحة؛ وفي ذلك إشارةٌ إلى المسح على الخفين الذي بينته السنة[3].

– كلمة (مساكين) من قوله ﷻ: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾[البقرة:184]، قال ابنُ جرير رحمه الله (ت:310هـ): «وأما (الطعام)؛ فإنه مضاف إلى (المسكين).

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص45-46.

[2] السمين الحلبي، الدر المصون، ج4، ص209-210.

[3] المرجع نفسه.

والقرأة في قراءة ذلك مختلفون؛ فقرأه بعضهم بتوحيد (المسكين)، بمعنى: وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين واحد لكل يوم أفطره [...]

وقرأه آخرون بجمع (المساكين)، (فديةُ طعامِ مَساكينَ) بمعنى: وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين عن الشهر، إذا أفطر الشهر كله»[1].

و- التوجيه العقديُّ:

والمثال الأشهر في هذا قول الله ﷻ: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النساء:1]، ومحلُّ الشاهد منها قراءة (والارحامِ) بكسر الميم، وقد قرأها كذلك حمزة وحده، وبقيَّة العشرة على النصب (والارحامَ)، والإشكال النحوي في قضية عطف الاسم الظاهر على الضمير دون تكرار الجار معروفٌ، ولكنَّ المقصود بالتنبيه ههنا الإشكال العقدي الذي ينشأ عن هذه القراءة؛ وهو أنها تصير سؤالاً بالرحم، وهو قسم، والقسم بغير الله غير جائز، والآية على تلك القراءة تقره[2]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت:728هـ): «فعلى قراءة الجمهور بالنصب إنما يسألون بالله وحده، لا بالرحم، وتساؤلهم بالله تعالى يتضمن إقسام بعضهم على بعض بالله، وتعاهدهم بالله.

وأما على قراءة الخفض، فقد قال طائفة من السلف: هو قولهم أسألك بالله وبالرحم، وهذا إخبار عن سؤالهم، وقد يقال: إنه ليس بدليل على جوازه، فإن كان دليلاً على جوازه، فمعنى قوله أسألك بالرحم ليس إقساماً بالرحم - والقسم هنا لا يسوغ - لكن بسبب الرحم، أي لأن الرحم توجب لأصحابها بعضهم على بعض حقوقاً كسؤال الثلاثة لله تعالى بأعمالهم الصالحة، وكسؤالنا بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته. ومن هذا الباب ما رُويَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن ابن أخيه عبد الله بن جعفر كان إذا سأله بحق جعفر أعطاه»[3].

تلك على وجه الإجمال بعض أنواع التوجيه، وفيما يأتي بيانٌ لبعض أدواته.

---

[1] ابن جرير، جامع البيان، ج3، ص439-440.

[2] يُنظر: الحربي، توجيه مشكل القراءات العشرية، ص168.

[3] ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص300-301.

2- أدواتُ توجيه القراءات:

استقرى بعضُ أهل الشَّأن هذه القضيَّةَ؛ قضيَّةَ الأدوات الَّتي يستعينُ بها الموجِّهُ على كشف ما قد يَعِنُّ من إشكالٍ في قراءةٍ ما، فوجد أنَّها تدور على ثمانية أمور هي: الاِعتمادُ على آية أخرى، والاستناد إلى الحديث النبوي، وتواتر القراءة، ورسم المصحف، وأشعار العرب، والتفسير، وأسباب النزول، والقراءة الشاذة[1]. وهذا إجمالٌ تفصيلُه كالآتي:

أ- الاِعتماد على آية أخرى (التوجيه بالنَّظائر):

ومن أمثلة ذلك كلمة (مِلِكِ) في سورة الفاتحة. قال أبو علي الفارسيُّ رحمه الله (ت:377هـ):

«اختلفوا في إثبات الألف، وإسقاطها من قوله ﷻ: ﴿**ملك يوم الدين**﴾[الفاتحة:4].

فقرأ عاصم والكسائي: (مالك) بألف، وقرأ الباقون (ملك) بغير ألف، ولم يمل [...] قال: وحكي أن عاصما الجحدري قرأها: (ملك) بغير ألف. فقال محتجا على من قرأها (مالك) بألف: يلزمه أن يقرأ: (قل أعوذ برب الناس مالك الناس). قال هارون: فذكرت ذلك لأبي عمرو، فقال: نعم، أفلا يقرؤون: (فتعالى الله المالك الحق)[المؤمنون:116]»[2].

ب- التوجيه بالحديث النبوي:

- وقد مرَّ معنا في أنواع التوجيه (التوجيه النحوي)، الكلام عن قوله سبحانه: ﴿**والعينَ بالعينِ**﴾[المائدة:45] برفع (العينُ)، عن أنسٍ ﷺ أنها قراءة النبي ﷺ.

- ومن الأمثلة كذلك توجيه ابن زنجلة رحمه الله (ت: نحو 440هـ) لقراءة يعقوب في رواية رويس عنه في قوله تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[يونس:58]، بتاء الخطاب في (فلْتَفرحوا هو خير مما تَجمعون). قال: «فمن قرأ بالتاء فإنما قرأ على الأصل، وحجته أنها عن النبي ﷺ عن أبي بن كعب ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: (أمِرت أن أقرأ عليك) قال: قلت: وقد سماني ربك؟ قال: (نعم) قال فقرأ عليَّ (يعني النبي ﷺ): ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ﴾[يونس:58]، بالتاء»[3].

---

[1] يُنظر في هذا: علي الشهري، الاحتجاج للقراءات في كتاب حجة القراءات لابن زنجلة، ص18 وما بعدها. و: أ.د بدر الدين عبد الكريم أحمد، مقالٌ بعنوان (أنواع توجيه القراءات)، شبكة الألوكة الإسلامية.

[2] أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج1، ص8-10.

[3] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص333.

جـ- التوجيه بالسَّند (تواتر القراءة):

ومن ذلك الاحتجاج لقراءة عبد الله بن عامر رحمه الله (ت:هـ) قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾[الانعام:137]. إذ قرأها (زُيِّنَ) بالبناء للمفعول، و(قتلُ) بالرفع على أنها نائب فاعل، و(أولادَهم) بالنصب على أنها مفعول المصدر (قتل)، و(شركائِهم) بالجرِّ على أنها مُضافةٌ إلى (قتل) من باب إضافة المصدر إلى فاعله. والإشكالُ فيها على هذا؛ هو الفصل بين المتضايفين بالمفعول (الأولاد)؛ والفصل بينهما بما هو أقل من ذلك مستكرهٌ لغةً، فكيف بالمفعول، فكيف وهو في أفصح الكلام (كلام الله رب العالمين).

وأمَّا قراءة بقيَّة العشرة؛ فلا إشكال فيها[1].

وقد ردَّ ابنُ الجزريِّ رحمه الله (ت:833هـ) استشكال من استشكل قراءة ابن عامر على ما ذكرنا، بأنها قراءة متواترة لا يصح الغمز فيها. قال رحمه الله: «(وَاخْتَلَفُوا) فِي: زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ فَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِضَمِّ الزَّايِ وَكَسْرِ الْيَاءِ مِنْ (زُيِّنَ) وَرَفْعِ لَامِ (قَتْلُ) ، وَنَصْبِ دَالِ (أَوْلَادَهُمْ) وَخَفْضِ هَمْزَةِ (شُرَكَائِهِمْ) بِإِضَافَةِ (قَتْلُ) إِلَيْهِ، وَهُوَ فَاعِلٌ فِي الْمَعْنَى، وَقَدْ فَصَلَ بَيْنَ الْمُضَافِ، وَهُوَ (قَتْلُ) وَبَيْنَ (شُرَكَائِهِمْ) ، وَهُوَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ بِالْمَفْعُولِ، وَهُوَ (أَوْلَادَهُمْ) ، وَجُمْهُورُ نُحَاةِ الْبَصْرِيِّينَ عَلَى أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشِّعْرِ، وَتُكُلِّمَ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَالَّذِي حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ (شُرَكَائِهِمْ) مَكْتُوبًا بِالْيَاءِ، وَلَوْ قَرَأَ بِجَرِّ (الْأَوْلَادِ وَالشُّرَكَاءِ) لِأَنَّ الْأَوْلَادَ شُرَكَاؤُهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ لَوَجَدَ فِي ذَلِكَ مَنْدُوحَةً.

(قُلْتُ) : وَالْحَقُّ فِي غَيْرِ مَا قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ وَالتَّشَهِّي وَهَلْ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ الْقِرَاءَةُ بِمَا يَجِدُ فِي الْكِتَابَةِ مِنْ غَيْرِ نَقْلٍ؟ بَلِ الصَّوَابُ جَوَازُ مِثْلِ هَذَا الْفَصْلِ، وَهُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَفَاعِلِهِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ بِالْمَفْعُولِ فِي الْفَصِيحِ الشَّائِعِ الذَّائِعِ اخْتِيَارًا، وَلَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِضَرُورَةِ الشِّعْرِ. وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ دَلِيلًا هَذِهِ الْقِرَاءَةُ الصَحِيحَةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي بَلَغَتِ التَّوَاتُرَ كَيْفَ وَقَارِئُهَا ابْنُ عَامِرٍ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنِ الصَّحَابَةِ كَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[2].

---

[1] يُنظر: الحربي، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية، ص214.

[2] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص263.

د- الإتّكاء على رسم المُصحف:

- ومن أمثلتها القريبة؛ الآية الّتي سلف ذكرها وقراءة ابن عامر لها (آية الأنعام:137)، فإن ابن الجزري رحمه الله احتج لها أيضا بموافقة رسم المصحف فقال: «وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ؛ [يقصد الإمام ابن عامر] عَرَبِيٌّ صَرِيحٌ مِنْ صَمِيمِ الْعَرَبِ، فَكَلَامُهُ حَجَّةٌ، وَقَوْلُهُ دَلِيلٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ اللَّحْنُ وَيُتَكَلَّمَ بِهِ، فَكَيْفَ وَقَدْ قَرَأَ بِمَا تَلَقَّى وَتَلَقَّنَ، وَرَوَى وَسَمِعَ وَرَأَى؛ إِذْ كَانَتْ كَذَلِكَ فِي الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ الْمُجْمَعِ عَلَى اتِّبَاعِهِ، وَأَنَا رَأَيْتُهَا فِيهِ كَذَلِكَ»[1].

- ومنها كذلك توجيه ابن زنجلة رحمه الله (ت: نحو 440هـ) لقوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ**﴾[طه:63]، قال: «قرأ أبو عمرو: (إنَّ هذين) بالياء، لأن تثنية المجرور والمنصوب بالياء في لغة فصحاء العرب [...]

وقرأ الباقون: (إنَّ هذان لساحران) بالألف؛ وحجتهم أنها مكتوبة هكذا في (الإمام)؛ مصحف عثمان ﷺ»[2].

هـ- التوجيه بأشعار العرب ولغاتها:

من ذلك توجيه قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[يوسف:90]، إذ «قرأ ابنُ كثير (إنه من يتقي ويصبر) بإثبات الياء. وحجته أن من العرب من يُجري المعتل مجرى الصحيح فيقول: (زيدٌ لم يقضي) [...] قال الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمي * بما لاقت لبون بني زيادِ»[3].

و- الإعتمادُ على التفسير:

- مثاله ما ذكرنا من قبلُ في توجيه (ننشرُها وننشزها) و(غُلْفٌ وغُلُفٌ).

- ومنها كذلك: «قوله جلَّ وعزَّ: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) .

اتفق القراء على هذه القراءة، إلا ما رُوي عن ابن كثير أنه قرأ: (فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ).

قال أبو منصور: والقراءة برفع (آدم) ونصبِ (كلمات)؛ لأن آدم تعلم الكلمات من ربه، فقيل: تلقى الكلمات. والعرب تقول: تلقيتُ هذا من فلان. معناه: أن فهمي قَبِلهُ من لفظه.

---

[1] ابن الجزري، النشر، ج2، ص263-264.

[2] ابن زنجلة، حجة القراءات، 454.

[3] المصدر نفسه، ص364.

والذي قرأ به ابن كثير جائز في العربية، لأن ما تلقيتَه فقد تلقاك»[1].

ز- التوجيه بأسباب النُّزول:

وأما التوجيه بأسباب النزول فنذكر من أمثلته قوله عز وجل: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا**﴾[المائدة:2]، ومحلُّ الشاهد منه؛ المصدر المؤول (أَنْ صدُّوكم)؛ فإنه قُرِأَ بفتح همزة (أن) على أنها تفسيرية في الماضي، وقُرِأ بكسر همزة (إن) على أنها شرطية في المستقبل، وسبب النزول يعضد الأولى أكثر من الثانية. قال أبو حيان رحمه الله (ت:745هـ): «وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ كَثِيرٍ: (إِنْ صَدُّوكُمْ) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ عَلَى أَنَّهَا شَرْطِيَّةٌ، وَيُؤَيِّدُ قِرَاءَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ: (إِنْ صَدُّوكُم). وَأَنْكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ وَالنَّحَّاسُ وَغَيْرُهُمَا قِرَاءَةَ كسر(إن)، وَقَالُوا: إِنَّمَا صَدَّ الْمُشْرِكُونَ الرسولَ والمؤمنين عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَالْآيَةُ نَزَلَتْ عَامَ الْفَتْحِ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَالْحُدَيْبِيَةُ سَنَةَ سِتٍّ، فَالصَّدُّ قَبْلَ نُزُولِ الْآيَةِ، وَالْكَسْرُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ بَعْدُ، وَلِأَنَّ مَكَّةَ كَانَتْ عَامَ الْفَتْحِ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، فَكَيْفَ يُصَدُّونَ عَنْهَا وَهِيَ فِي أَيْدِيهِمْ؟

وَهَذَا الْإِنْكَارُ مِنْهُمْ لِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ صَعْبٌ جِدًّا، فَإِنَّهَا قِرَاءَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ، إِذْ هِيَ فِي السَّبْعَةِ، وَالْمَعْنَى مَعَهَا صَحِيحٌ، وَالتَّقْدِيرُ: إِنْ وَقَعَ صَدٌّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِثْلُ ذَلِكَ الصَّدِّ الَّذِي كَانَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَهَذَا النَّهْيُ تَشْرِيعٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَلَيْسَ نُزُولُ هَذِهِ الْآيَةِ عَامَ الْفَتْحِ مُجْمَعًا عَلَيْهِ، بَلْ ذَكَرَ الْيَزِيدِيُّ أَنَّهَا نَزَلَتْ قَبْلَ أَنْ يَصُدُّوهُمْ، فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الشَّرْطُ وَاضِحًا.

وَقَرَأَ بَاقِي السَّبْعَةِ: (أَنْ) بفتح الْهَمْزَةِ جَعَلُوهُ تَعْلِيلًا لِلشَّنَآنِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ وَاضِحَةٌ أَيْ: شَنَآنُ قَوْمٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ صَدُّوكُمْ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَالِاعْتِدَاءُ الِانْتِقَامُ مِنْهُمْ بِإِلْحَاقِ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ»[2]. والحق أنَّ هذا اعتمادٌ على تاريخ النزول لا على سبب النزول.

ح- التَّوجيه بالقراءة الشَّاذَّة:

- ومن أمثلة هذا؛ ما ذكرنا من قبل عند توجيه قراءة (تُنْبِتُ بالدهن) وأنها في معنى (تنبِتُ الدهنَ) بدليل قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ (تُخرِجُ الدهنَ)، وقراءة عبد الله كما هو معلوم، شاذَّةٌ.

- والأمثلة على ذلك كثيرةٌ، نجتزئُ منها بهذا القدر الدالِّ على ما وراءه[3].

---

[1] الأزهري، معاني القراءات، ج1، ص147-148.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص169.

[3] يُنظر مثلا توجيه (ألاَّ يسجدوا) [النمل:25] في: السمين الحلبي، الدر المصون، ج8، ص598-604.